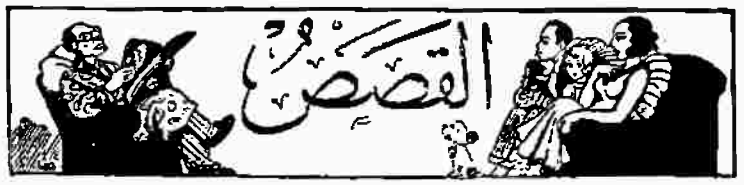

المقامر ...

للكاتب الروسي ألكسندر بوشكين

ترجمة الأستاذ حلمي مراد

— ١ —

كانت إحدى ليالي الشتاء الطويلة ... وقد تراجعت فلول الظلام كسيرة ، وأقبلت طلائع الفجر الباسم ... حين التف المدعوون إلى مأدبة ناروموف — اللازم في فرقة الحرس — حول مائدة القمار يلعبون الورق ويتبادلون شتى الأحاديث ، فقال المضيف وهو يعطي ورقة اللعب لأحد مدعويه :

— كيف حالك هذا المساء يا سورين ؟

فرد هذا : « لقد خسرت كالعادة منذ بدأ الحظ يدبر عني ، ولكن ... ماذا ترون في « هرمان » الذي لم يشترك معنا قط في اللعب ؟ حقاً ، إن أمره لعجيب ، فهو يسهر معنا طوال الليل يرقب عجلة الحظ تدور وتدور بيننا مع أنه ما من داع يدفعه لذلك »

وهنا تدخل هرمان في الحديث فقال : « الأمر بسيط أيها السادة فاللعبة تعجبني ، ولكني لا أود المقامرة في سبيل الكسب ، فقد أخسر بعض مالي » . وأردف شخص ثالث :

— لا تعجبوا ! فهرمان ألماني وقومه معروفون بالميل إلى الاقتصاد ، ولكن . . . ألم تلحظوا أن الكونتس أنا فيدروفنا لا تلعب قط ... هذا هو الذي يستحق دهشتنا حقاً ، فإن عجوزاً في الثمانين لا تلمس الورق لهي شاذة بالتأكيد

ثم أطرق تومسكي — وكان هو المتحدث — قليلاً واستطرد: « ألم تدركوا السبب ؟ » فأجاب اثنان بصوت واحد :

— كلا ، فهل هناك سبب خاص يدعوها لذلك ؟

فرد تومسكي بقوله : نعم ... فأصغوا إلي :

منذ نحو ستين عاماً كانت جدتي (الكونتس أنا فيدروفنا) معبودة باريس وموضع إعجاب قاطنيها ، حتى أطلق عليها لقب (فينوس الروسية) فأخذ ريشيليو يتودد إليها ، ولما يئس من مبادلتها له حباً بحب حاول الانتحار أكثر من مرة، وذات ليلة لعبت الورق مع الدوق دورليان وخسرت مبلغاً كبيراً ، ولما لم يكن معها المبلغ كله في ذلك الحين فقد حاولت عند عودتها إلى المنزل إقناع زوجها بدفع المبلغ ولكنه أصر على الرفض متخذاً من إسرافها مبرراً لقراره هذا . وإذ ضاقت بها الدنيا طرقت باب الكونت دي سان جرمان الذي قيل إنه ذو موهبة خارقة في كسب المال ، ولما جاءها الكونت وحدثته بالمأزق الذي لم تستطع الخلاص منه قال : « سيدتي : إني على تمام الاستعداد لإعطائك أي مبلغ تطلبين ، ولكني لما كنت أعلم عن يقين أنه لن يهدأ لك بال حتى أسترد ما أقرضت ، فقد رأيت أنه يحسن بك أن تعاودي اللعب لتربحي ما خسرت »

وما إن وصل تومسكي إلى هذا الحد من الحديث حتى كان الجميع متلهفين إلى سماع بقية القصة ، فتوقف قليلاً ريثما أشعل غليونه، ثم استطرد قائلاً : «وأسر الكونت إلى جدتي بضع كلمات يتمنى كل منكم لو سمعها ... وفي تلك الليلة بعينها عاودت جدتي اللعب على مائدة الدوق دورليان معتذرة عن عدم دفع المبلغ بما اعتورها من النسيان ، وأخذت ثلاث ورقات ، راهنت على الأولى فكسبت ثم ضاعفت الرهان على الثانية فكسبت ، وكذلك كان حظها حين لعبت الورقة الثالثة ... »

وهنا صاح أحد الضباط مقاطعاً : مجرد حظ ! وقال هرمان : يا لها من قصة . بينما سأل ثالث : وهل كانت الورقات مرقومة ؟ فأجاب تومسكي :

— كلا ، ولكن استمعوا للبقية ، فقد كان لجدتي ثلاثة أبناء أحدهم والدي ، ومع هذا لم يتمكن أحدهم من استخلاص سر الثلاث الورقات منها حتى الآن ... والأعجب من ذلك أنها قابلت ذات يوم فيما بعد صديقاً لها خسر كل ثروته في ليلة واحدة ؛ وحين علمت بالأمر ووجدته غارقاً في اليأس أعطته وريقات ثلاثاً كي يلعب بها بعد أن أخذت منه وعداً قاطعاً بألا يجلس إلى مائدة القمار بعد أن يستعيد ثروته . وفي اليوم التالي عرض الشاب على غريمه أن يلاعبه فقبل ، وإذ ذاك بدأت المقامرة بأن راهن الأول على إحدى الورقات بخمسين ألف روبل ، فكسب ... وعندما ترك المائدة الخضراء كان قد استعاد ضعف ثروته

وتوقف تومسكى عند هذا الحد من حديثه ثم قال :
— هيا بنا إلى النوم أيها الأصدقاء فقد حانت الساعة السادسة

— ٢ —

فى الوقت الذى كان تومسكى يقص فيه حديث جدته كانت هذه تجلس أمام المرآة لتصلح من هندامها وتستكمل زينتها ، فإنها رغم كبر سنها كانت تحرص على حضور جميع المراقص والحفلات باذلة عناية فائقة فى اختيار ملابسها حتى أصبح منزلها كعبة الزوار يؤمه أناس من أرقى الطبقات لقضاء بعض الوقت فى تسلية وصرح ولكن رغم هذا كانت الكونتس عصبية المزاج شاذة الأطوار ، لا تهتم إلا بملذاتها ولا تغفر لوصيفتها (ليزابيتا إيفانوفنا) أصغر هفوة ، بل إنها كانت إذا أمرتها بإعداد الشاى انتهرتها على تبذيرها فى السكر ، وإذا طلبت منها قراءة فصل من كتاب عدتها مسؤولة عن السخف الذى يجرى به قلم المؤلف ، وإذا خرجت معها فى نزهة لامتها على سقوط المطر أو هبوب العواصف ، وإذا اصطحبتها لمرقص أقصتها عن مجلسها إلى ركن تظل للسكينة منفردة فيه ، لا يشاركها أحد حديثاً أو يدعوها لرقصة

ورغم ما امتازت به ليزابيتا من جمال فاقت به سيدتها ، بل وكثيرات من النبيلات لم يكن أحد ليلقى إليها نظرة أو يعيرها أى التفات ، فتارت كرامتها لذاك الوضع المزرى الذى اكتنف حياتها وصارت إذا اشتد بها الألم وعصفت بين جوانحها ريح الهموم ، أسلمت عينيها للدمع تذرفه وقلبها للزفرات يرسلها ...

جلست ليزابيتا بعد يومين من مأدبة نارومون بجوار النافذة تطرز ، فخانت منها التفاتة إلى الطريق دون قصد ، وإذ ذاك وقع بصرها على ضابط وقف بلا حراك مثبتاً عينيه تجاهها ، فغضت من نظرها وعادت إلى التطريز . . . وما مرت بضع دقائق ، حتى أطلت من النافذة بحركة آلية ، فإذا الضابط لم يبرح مكانه ... وكان ردها على هذا أن ابتعدت قليلاً وعادت إلى التطريز إذ لم يكن من عادتها مبادلة الشبان النظرات والبسمات ... وبعد ساعتين قامت للعناية بشؤون سيدتها فلمحت على الرغم منها ذاك الضابط فى مكانه

بدا لها كل ذلك غريباً فلم تدر كيف تعلله إلى أن عادت بعد النداء إلى عملها ، ولكن الضابط كان قد ذهب فلم تنشغل بالتفكير فى أمره ... ومر يومان غادرت الكونتس بعدهما قصرها بصحبة وصيفتها ، وما كادت الأولى تتخذ لها مقعداً فى العربة حتى أبصرت ليزابيتا الضابط عينه واقفاً عن بعد ، وقد التف بمعطف حجب نصف وجهه ولكنه لم يحجب عينيه المتقدتين ، فاضطربت الفتاة دون أن تدرى لذاك الاضطراب سبباً

وواظب الضابط على الحضور إلى نفس المكان كل يوم يسدد إليها بصره ، فكانت إذا ما رأته انسحبت على الفور والفضول يقتلها وشعور غريب يضطرم فى أعماقها بشكل لم يسبق لها أن أحست بمثله . ولم يمض وقت طويل حتى نشأت بين الاثنين صداقة جعلت الفتاة تحس بوجوده حين تجلس إلى النافذة فتحدق فيه بضع لحظات ثم تعود لعملها وقد كست الحمرة وجنتيها ، بينما ينصرف الشاب منتبطاً بتلك اللحظات التى تفضلت بها عليه

... ومر أسبوع تبادلت فيه ليزابيتا مع الضابط البسمات البريئة الساذجة ، وكان قلبها يخفق كلما رأته وخاصة عند ما دخل تومسكى يلتمس من جدته الإذن بأن يقدم لها أحد أصدقائه إذ ظنت الفتاة أن صديقها الضابط هو المعنى بالكلام .

* * *

كان هرمان من أسرة ألمانية أقامت فى روسيا فلما مات والده ورث عنه بعض المال ولم يشأ أن يقامر به خوف فقدانه فظل قنوعاً بما يدر عليه من ربح كان يكفيه ، بل ويسمح له أحياناً بالإنفاق على أصدقائه إذا خرجوا يتنزهون ، ولكنه رغم إحجامه عن المقامرة لم يجد بأساً من قضاء السهرات مع خلانه يراقبهم وهم يلعبون ... وحين انتهى تومسكى من قصة الوريقات الثلاث كان الفضول قد تملكه والدهشة قد عقدت لسانه ، فلم يكف عن التفكير فى محيطها طوال تلك الليلة ... وفى الليلة التالية خرج يتريض فى شارع سانت بطرسبرج وهو يعنى نفسه بالتقرب من الكونتس كى تبوح له بسرها ، ولا سيما أنها فى الثامنة والسبعين من عمرها فموتها متوقع من يوم لآخر ...

ولم يكن يقطع على هرمان حبل أفكاره أحياناً إلا الشك الذى نسج خيوطه فى مخيلته فبات يخشى أن تكون قصة تومسكى دعابة جادت بها قريحته ولكنه ما لبث أن سمع هامساً يهتف فى أعماق قلبه مذكراً إياه بأن وريقاته الرابحة هى الاقتصاد والعمل والمثابرة فليقصر جهوده عليها ليتضاعف دخله ويغدو من ذوى اليسار

مرت هذه الخواطر بذهنه وهو يتنزه إلى أن استرعى نظره قصر تجلت فيه آيات الفن وازدحمت أمامه العربات بعد أن قذفت

إليه بمن فيها من رجال وسيدات وضباط وآنسات فرقوا جميعاً من بابه وسرعان ما احتوتهم قاعاته ...

اقترب هرمان من الحارس سائلاً عن رب القصر ، وما أن رد هـذا ناطقاً باسم الـكونتس أنافيدروفنا حتى اشتمل هرمان الذهول فهتف فى نفسه : « يا الله ! ! إنها جدة تومسكى ... إنها صاحبة الوريقات الثلاث » ووقف لحظة مشدوهاً ثم خط طريقه إلى المنزل حيث تملكه القلق ففارقه النعاس ، ولـكنه حين قهره بعد طول عناء أخذت الأشباح تتراقص أمام عينيه ... رأى المائدة الخضراء تعلوها أوراق النقد وأكوام من (الروبلات) ... ورأى نفسه جالساً إليها وقد غمره فيض من الربح زخرت به جيوبه ثم استيقظ متنهداً فإذا بكنوزه ليست إلا ثمرة كابوس مضطرب

خرج إلى الطريق ليزيح تلك الخيالات التى أقضت مضجعه ، ولـكنه وجد قدميه تقودانه ناحية القصر ... كان يبدو أن قوة خارقة قد اجتذبته إلى هناك ، فوقف يتطلع إلى النافذة وما لبث أن رأى فتاة يزين رأسها شعر أسود متهدل قد أكبت على كتاب تقرؤه أو حرير تطرزه ... وتحركت الفتاة تجاهه فأخذت عيناه وجهاً جميلاً وعينين تجلاوين يشع منهما بريق خاطف

... وفى تلك اللحظة تحدد مصيره وكتب القدر نهايته

— ٣ —

كانت ليزابيتا قد أنهت عملها حين نادتها الكونتس لتؤنس وحدتها فى نزهة قصيرة ؛ وبينما كانت تساعد سيدتها على ارتقاء العربة رأت الفتاة ذاك الضابط ... رأته بجانبها يدس ورقة بين يديها فأخفتها بين طيات قفازها وبدأت تفكر ، فلم تر أو تسمع شيئاً مما مرَّ حولها . وزادتها حيرة وارتباكا أسئلة الـكونتس المتوالية التى اكتفت فى الرد عليها بأجوبة مقتضبة مما دعا سـيدتها إلى القول :

« ماذا بك اليوم ؟ فيم تفكرين ؟ ألا تسمعيننى ؟ ... إننى لا زلت أتكلم بوضوح . أليس كذلك ؟ »

... ومرة أخرى لم تصغ ليزابيتا إلى كلامها ، وحين عادت إلى حجرتها أقفلت بابها وشرعت تقرأ فى الورقة المطوية أرق عبارات الحب التى صيغت فى قالب عاطفى ، فتملـكها شعور من الفرح ... ولـكنها وقفت بعد حين تحدق فى الفضاء . لقد كانت هذه أول مرة يحس فيها أحد بوجودها بل ويظل ساعات طويلة فى انتظار ابتسامة عذبة يفتر عنها ثغرها ، أو نظرة تتجلى بها عيناها ... فكيف لا ترتبك ... وأخيراً وبعد لأى كتبت له هذه الـكلمات بيد مرتعشة : « أؤمل أن تكون نواياك طيبة نبيلة ... وإنما يجدر بك أن تعرف أن علاقتنا لا يمكن أن تبدأ عن هذا الطريق . وها أنا ذى أعيد إليك خطابك راجية ألا تلجئنى للندم على تسرعى »

ثم قذفت بالرسالة من النافذة فالتقطها الضابط وما أن أتم قراءتها حتى شاع البشر فى قسمات وجهـه فبدا قانعاً بأولى خطوات مغامرته ...

مضت أيام وأسابيع كان هرمان خلالها يتوسل بمختلف الطرق لإيصال رسائله لمحبوبته ... كان يكتب تلك الرسائل بعبارات أخاذة لم تستطع الفتاة مقاومة إغرائها فاضطرت للرد عليها ومبادلة الشاب وداً بود ؛ وكان الرد يطول يوماً بعد يوم إلى أن احتوى ذات يوم هذه الـكلمات :

« سيقام مرقص الليلة فى دار السفارة وستحضره الـكونتس فتمكث هنالك حتى الثانية صباحاً ، فعليك — إذا أردت مقابلتى — أن تقبع فى مكانك حتى تطفأ الأنوار فى الساعة الحادية عشرة وإذ ذاك وجه خطواتك نحو باب القصر وادخله بلا تردد لأن الحارس سيكون غارقاً فى غطيطه ؛ ثم ارتق الدرج بسرعة حتى غرفة الـكونتس حيث تجد خلف الأستار بابين يقود الأيمن منهما إلى حجرتى وانتظرنى هناك ... »

وحوالى الساعة العاشرة من ذاك المساء كان هرمان واقفاً أمام القصر ينتظر ... كانت الليلة رهيبة ، والريح تعصف بشدة ، والثلج يتساقط بغيض زاخر بينما انبعث من المصابيح نور خافت ، فخلا الطريق من المارة وعم السكون ... مرت لحظات سمع بعدها صوت عجلات العربة يردده الفضاء وهى تبتعد بالكونتس ووصيفتها فى طريقهما إلى المرقص . ثم كرت الدقائق وأطفئت الأنوار ، فانتظر هرمان بعض الوقت ، ومن ثم يمم شطر القصر فمر بابه وصعد السلم بخفة النمر حتى وصل إلى غرفة الـكونتس حيث رأى على ضوء مصباح صغير قطع الأثاث الفاخر منثرة فى أرجائها وبضع صور زيتية تزين جدرانها فوقف يتأملها فى صمت وسكون وما لبث أن عبر الغرفة إلى الممر الذى تقع فى نهايته غرفة الفتاة فولجها وأقفل خلفه الباب فعمها الظلام ... وجلس ينتظر

مر الوقت بطيئاً وكان الهدوء ناشراً ظله على القصر ثم دقت الساعة اثنتى عشرة دقة وعاد السكون الذى لم يعكره سوى ضربات

قلب الشاب تطرق أذنيه . . . وبعد وقت سمع دقة واحدة . . . ثم دقتين . ولم تمض لحظات حتى عادت المربية ترسل صوتها فيشتد خفقان قلبه ويزداد اضطرابه . ولما شعر بخطوات على السلم ركز بصره فى ثقب الباب فرأى الكونتس تخلع ملابسها وترفع عن رأسها إكليل الورد والشعر المستعار ثم تجلس إلى مقعد بجوار النافذة تناضل الأرق دون جدوى

رفعت الكونتس رأسها حين سمعت حركة خلفها فرأت رجلاً منتصباً أمامها . . وما لبث هرمان أن قال : « لا تنزعجى يا سيدتى بحق السماء . إنى لا أود لك ضرراً وإنما جئت أنشد منك مطلباً هيناً » .

نظرت إليه المرأة العجوز وهى صامتة كأنها لا تعى ، فأعاد قوله بصوت عال إذ ظنها صماء . ولكنها لم تتحرك فاستطرد يقول : « إنك تملكين أن تسعدينى طوال حياتى دون أن يكلفك الأمر شيئاً سوى ثلاث ورقات »

وهنا فهمت الكونتس كل شىء فأجابت على الفور : « أوه . إنها مزحة . . . أقسم لك على ذلك » . ولكن صوت هرمان قاطعها بقوله : « كلا يا سيدتى ، ألا تذكرين الرجل الذى أعطيتها له فضاعف ثروته »

بدا الاضطراب على وجهها . ولكن هرمان عاود القول : « هلا ذكرت لى ذاك السر . . . لِمَ تحفظينه لأحفادك ؟ إنهم فى غنى عن مزيد من المال . . . أما أنا فلن تأسفين على إسعادى لأنى كفيل بالإنفاق على خير الوجوه . . . هيا بربك تكلمى . . . أفصحي ! »

وقف ينتظر الرد وقد طال صبره ، ولما لم تجب انحنى متوسلاً وهو يقول : « ألا تعرفين الرحمة والحب . . . إذا كنت تذكرينهما فإنى أستحلفك باسم الأبوة والأمومة وبكل ما تقدسين ألا تخبئى أملى . . . اذكرى أنك كبيرة السن وأن أبنائى وأحفادى سيباركون ذكراك »

ولكن الكونتس لم تجب ، وحينئذ نهض هرمان واقفاً وسدد غدارة نحوها ثم أردف : « إذاً سأضطرك إلى الكلام ! »

اشتد اضطراب المرأة فاهتز رأسها بقوة ، ومدت يديها كأنها تبغى أن تبعد شراً يوشك أن ينقض عليها ، ثم تراجعت إلى الوراء بلا حراك

« هيا لا تكونى كالأطفال . . . إنى أمهلك لآخر مرة . . . ما هى الورقات الثلاث ؟ . . . »

ولما لم يسمع رداً أو حركة أمسك هرمان يدها فوجدها قد فارقت الحياة حاملة سرها معها

— ٤ —

حينما دخلت ليزاڤيتا إلى حجرتها سرها أن لم تجد فيها صديقها الضابط ، إذ أن شعوراً من الندم غمرها فأخذت تلوم نفسها على تسرعها فى استدعائه . وبينما هى سابحة فى بحار الفكر فتح الباب فإذا بهرمان واقفاً أمامها . فارتعدت الفتاة وقالت : « أين ... كنت ؟ »

فرد مطرقاً : « فى غرفة الكونتس . . . لقد تركتها منذ لحظة ... ميتة »

« يا للسماء ! ! ماذا تقول ؟ » فاستطرد هرمان : « وأخشى أن أكون سبب موتها » . ثم جلس بجوار النافذة وشرع يقص عليها أنباء مغامرته ، فأدركت أن عبارات الوجد والهيام التى كتبها والساعات الطويلة التى قضاها واقفاً أمام نافذتها لم يُملِها الحب الصادق بل حب المال ... المال الذى سيطر على قطب تفكيره فجعله يستخدمها أداة طيعة فى يده ... المال الذى صيره مجرماً أثيما

ولم تتمالك الفتاة نفسها من البكاء فى مرارة وألم ، ولكنه أخذ يراقبها فى سكون دون أن تلين قلبه دموعها التى ذرفتها ولا جمالها الذى زاده الحزن سحراً وفتنة ، ولم يُلق بالاً إلى موت الكونتس فى ذاته ، وإنما أحزنه أنها دفنت سرها معها

وعاد إلى الصمت فلم يتبادلا كلمة ولا نظرة حتى بدت طلائع الفجر فانسحب الضابط من حيث أتى وما لبث أن احتواه الطريق

— ٥ —

مضت أيام ثلاثة دخل هرمان بعدها الدير الذى رقدت فيه الكونتس ليؤدى لها واجب الاحترام الأخير ... ولكن هذا لم يكن قصده الحقيقى ، وإنما كان ـ ككل رجل لم يتسرب إلى قلبه شعاع من الإيمان ـ شديد التشاؤم والتطير ، تخيل إليه أنه لو قصّر فى أداء هذا الواجب لحلّت عليه لعنة روحها واستحق غضبها ، وإذ ذاك رأى أن يرضيها من هذا الطريق

دخل هرمان القاعة فوجد جسدها مسجى على فراش من المخمل الأسود وقد احتاطه خدمها حاملين الشموع ... وبدا المكان رهيباً . ولما حان دور الضابط تقدم منها فانحنى قليلاً ، وفجأة صور له الوهم أن عينى المرأة تتطلعان إليه وأنهما فتحتا

فتطاير منهما الشرر ... ارتعد هرمان واختلج جسمه ثم ارتمى على من خلفه وقد غمر وجهه الشحوب ، وفي نفس اللحظة كانت لزابيتا في أقصى المكان قد أغمي عليها

خرج هرمان وقد تملكه الرعب والفزع فتوجه إلى حانة حيث جلس يحتسي كؤوس النبيذ ليرفه عن نفسه المكروبة . ولما حان المساء عاد إلى بيته فاستلقى على الفراش وغرق في نوم عميق لم يصح منه إلا والليل يغمر الكون فلا يبدد ظلمته سوى نور القمر المنبعث من النافذة ...

ولم يكد ينسل الكرى عن عينيه حتى اعتدل جالساً ومكث بعض الوقت على تلك الحال ، وما لبث أن سمع خطوات شخص يمر بنافذته ويتطلع إلى داخل الغرفة ثم يواصل سيره ... لم يلحظ الأمر في البداية باهتمام ولكنه ارتعد حين سمع باب منزله يفتح ، والممر يردد صوت تلك الخطوات ، وأوشكت صرخة أن تفلت منه حين رأى امرأة في ملابس بيضاء منتصبة أمامه ... عرف فيها الكونتس أنا فازداد اضطرابه وازدرد لعابه بصعوبة إذ سمعها تقول: «لقد جئتك رغم إرادتي لأشكر لك احترامك لذكراي ولأكافئك بذكر الوريقات الرابحة ، إنها : الثلاثة والسبعة والآس . ولكن احذر أن تعاود اللعب بعد أن تجمع لنفسك ثروة معقولة . وإذا تزوجت وصيفتي لزابيتا غفرت لك كل ما بدر منك »

نطقت بهذه الكلمات بين دهشته وذهوله ، ثم خرجت من حيث أتت وردد الطريق وقع أقدامها ...

لبث هرمان مشدوهاً بعض الوقت ، ثم اجتاز الغرفة وأيقظ خادمه ولكنه عبثاً حاول أن يعرف منه شيئاً عن الأمر ؛ فقد كان هذا مستغرقاً في النوم لحظة أن دخلت الكونتس

***

لم يغمض للرجل جفن طوال تلك الليلة ، إذ أخذت الأفكار تطارده والأحلام تذكره بالثلاثة والسبعة والآس ؛ فحصر مخيلته في البحث عن مكان للمقامرة، وحين علم بنبأ عزم فريق من الأثرياء على الالتفاف حول مائدة القمار بأحد الأندية يمم شطره وريح الأمل تدوى بين جنبيه ، وهناك وجد علية القوم وكبار الضباط يلعبون

جلس هرمان يشاركهم، وما لبث حين مر به الدور أن أخذ ورقة وراهن عليها بمبلغ ٤٧ ألف روبل فتركزت حوله الأبصار وأخذ الجميع يتطلعون إليه ثم قال تاروموف وهو يغمغم « لقد فقد الرجل عقله » وتلاه أحد اللاعبين بقوله :

« أتسمح لي يا سيدي أن أحذرك مغبة المراهنة على مثل هذا المبلغ الجسيم .. إنها مقامرة مميتة فنحن لا نراهن عادة على أكثر من مائتي روبل »

ولكن هرمان قال في إصرار : « إني أعلم ذلك فهل تقبلون لعبي أم لا ؟ » وإذ ذاك قال صاحب النادي : « لا بأس فقد أردنا تنبيهك فقط »

وأخرج هرمان من حافظته عدداً من أوراق البنكنوت سلمها لمحدثه ثم بدأ اللعب فكشف الورقة التي بيده وكانت الرابحة

سرت موجة من الدهشة بين الحاضرين وتسلم هرمان ما ربح ثم انصرف تاركا الحاضرين فريسة للذهول ، وفي الليلة التالية عاد إلى اللعب والتأم الجمع حول المائدة الخضراء فقامر الضابط كالليلة السابقة وما أن كشف الورقة التي بيده وكانت السبعة حتى تبين أنها الرابحة ... ومرة أخرى جمع أرباحه ولم ينس أن يحيي الحاضرين عند خروجه بانحناءة وابتسامة

ظهر هرمان في الليلة الثالثة والأخيرة ، وازدحم حول المائدة أفواج من المتفرجين واللاعبين وقد اشتد بهم الحماس والتشوق ثم بدأ اللعب ... فأخذ هرمان (الآس) وانتظر الكل اللحظة الفاصلة فخيم الصمت على أرجاء القاعة ... ثم أخذ الرئيس الورق بيد مضطربة ودار اللعب برهة ثم تبين أن الورقة الرابحة هي الآس وإذ ذاك كشف هرمان ورقته وهو يكاد يفقد عقله من الفرح والغبطة ... ولكنه وجدها (دام) Dame (سباتي) ... اشتد به الذهول وزاغت عيناه وتصلبت أطرافه وهو يحدق في الورقة إذ خيل إليه أن (الدام) تفتح عينيها وتغمضهما بينما ارتسمت على شفتيها ابتسامة هازئة ... شعر بالرعب يلجم لسانه ، فقد كانت (الدام) شديدة الشبه بالكونتس

— ٦ —

وبعد يومين كان زائر مستشفى أبوكوف يقع نظره في إحدى الحجرات على رجل فاقد العقل والشعور ، لا يجيب عما يوجه إليه من أسئلة وإنما يظل يتمتم بصوت خافت :

« ثلاثة ... سبعة ... آس »

حلمي مراد
المحامي

{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولي — عابدين }